

استدراك على "شعر ابن ميادة"

للدكتور خليل أبو رحمة

ذكر العيني في "المقاصد النحوية" أن لابن ميادة ديوان شعر. ويذكر محمد نايف الدليمي، جامع شعر ابن ميادة، أنه لم يوفق في الحصول على نسخة من هذا الديوان^(١)، ولذا اضطر إلى جمع أشعاره من المظان المختلفة. ويبدو أن كتاب الأغاني أهم مرجع لشعر الشاعر وسيرة حياته؛ بل إن أكثر المراجع الأخرى المهمة - كتاريخ ابن عساكر، وخزانة الأدب - تعتمد الأغاني، رغم ما يلحظ من خلاف بسيط.

ورغم الجهد الذي بذله الدليمي في جمع شعر ابن ميادة وتحقيقه، فقد عثرت على أبيات لم يثبتها في شعر الشاعر، لأنه لم يستوف المراجعة المطلوبة، كما يظهر بعض التسرع في عمله؛ فهو يثبت "تاريخ ابن عساكر" ضمن المراجع التي اعتمدها، ولكنه، فيما يبدو، اعتمد ترجمة ابن ميادة في الكتاب المذكور، ووقف عند هذا الحد. ولو قلب صفحات الكتاب لوجد قطعة لم يذكرها الأصفهاني. ففي المجلد الثالث^(٢) في ترجمة "ثابت بن نعيم الجذامي" - الذي خرج على مروان بن محمد بفلسطين، ثم هرب إلى مصر، فأسره الحوثره الباهلي وأرسله إلى مروان فقتله - قصيدة ذات تسعة أبيات، يشيد الشاعر فيها بأبطال قبيلة قيس، الذين قضوا على الفتنه، ويفتخر بأيام القيسيين ومعاركهم. وابن عساكر لا يقطع في نسبة القصيدة على ابن ميادة، بل يقول: "وقال فيه - أي ثابت بن نعيم الجذامي - بعض شعراء قيس، وقيل إنه ابن ميادة"^(٣). وهذا القول يوجب وضع القصيدة ضمن "باب المنسوب إلى ابن ميادة" - حسب ترتيب الدليمي - لولا أن الجاحظ ذكر في كتاب "الحيوان"^(٤) بيتاً منها ونص أنه لابن ميادة، وهو:

وعند الفزاري العراقي عارض كأن عيون القوم في نبضه جمر

وهو البيت الثامن في الترتيب عند ابن عساكر، مع اختلاف بسيط.

(١) شعر ابن ميادة، المقدمة / ١٣.

(٢) ص ٣٧٢.

(٣) ج ٣ / ٣٧٢.

(٤) ج ٣ / ٣٢٢ والبيت في شعر ابن ميادة / ٥٥.

كما ذكر الكندي (ت ٣٥٠هـ) في كتابه "الولادة القصيدة"^(٥) بيتين من القصيدة، وذكر أنهما لابن ميادة، وهما:

لقد سرنى، إن كان شيء يسرنى مغار ابن هبار على بلخ والسفر
وحوثره المهدي بمصر جياده وأسيافه حتى استقامت له مصر

والبيت الأول لا تتضمنه الأبيات الموجودة في تاريخ ابن عساكر، أما البيت الثاني فهو الخامس عند ابن عساكر، مع اختلاف في بعض الكلمات. وبذا نكون قد عرفنا من القصيدة عشر أبيات، أثبت منها جامع شعر ابن ميادة بيتاً واحداً ذكر في كتاب الحيوان. والأبيات - كما يبدو - تسير على هذا النحو:

وما للجذامي الذي جز رأسه وحوثره المهدي بمصر جياده
حذار كأن يلقاه يوماً بموطن فما لك بالشام المقدس منزل
فوارس صدق لا يباليون من ثوى وما لك بين الأخشبين معرس
هُمُ تركوا ما بين تدمر والقفا وعند الفزاري العراقي عارض
لقد سرنى، إن كل شيء يسرنى وإن لقيس كل يوم كريهة
وأسيافه حتى استقامت له مصر وقائع مسرور بها الذئب والنسر

وهذه القصيدة مهمة، لأنها من القصائد القليلة التي تفصح عن موقف بعض شعراء مصر من الفتن الداخلية أيام مروان بن محمد.

وتروى قصيدة ابن ميادة "الرائية" التي مطلعها:

ألم تر أن الصاردية جاوزت ليالي بالممدور غير كثير

في "الأغاني" روايتين مختلفتين، بالنظر إلى عدد الأبيات، وإلى بعض الألفاظ. وقد اعتمد الدليمي رواية واحدة وأهمل الأخرى، فلم يشر إليها، وبذلك سقط بيت من القصيدة وهو:

وقالت، وما زادت على أن تبسّمت: عذيرك من ذي شبيبة وعذيري^(١)
ويبدو أن ترتيبه العاشر في القصيدة.
وفي كتاب المقتضب^(٢) للمبرد هذا البيت:

بكيت وما بكا رجل حزين على ربعين: مسلوب وبالي
وقد نسب البيت عند سيبويه إلى رجل من باهلة، ونسبه السيوطي إلى ابن
ميادة^(٨)، ولم يثبتته الدليمي.

وفي كتاب "الموازنة بين أبي تمام والبحري"^(٩) بيتان لابن ميادة لم يثبتهما
الدليمي، لأنه لم يعتمد الموازنة مرجعاً من مراجعه. والبيتان هما:

يذكرنيها أن تغنت حمام
تجاوبن في حد النهار بعولة
لهن على خضر العضاة عويل
وأخرى توافي الشمس كل أصيل؟؟

ويبدو لي أنهما من القصيدة رقم (١١٧) حسب ترتيب الدليمي، فهما يشتركان
معها في البحر والقافية، كما ينسجمان معها في المعنى.

وفي كتاب "المرصع"^(١٠) لمجد الدين المبارك بن محمد، المعروف بابن
الأثير، بيت لم يثبتته الدليمي وهو:

أني وجدت بني نوم يلفهم مشمر بثياب الحرب مجتنب
ولم يعتمد الدليمي كتاب "العيون والحدائق"، وفيه القصيدة التي رثى فيها ابن
ميادة الوليد بن يزيد. والدليمي يذكر القصيدة، ولكن رواية "العيون والحدائق"
تختلف قليلاً، فهذا البيت يرد في الشعر المجموع هكذا:

لقد فعلت بنو مروان فعلا وأمرأ ما يسوغ به القراح^(١١)

(٦) الأغاني ٢/٢٧٧.

(٧) ج ٤/٢٩١.

(٨) انظر هامش ص ٢٩٢ من المصدر السابق.

(٩) ص ١٥٢ الجزء الثاني.

(١٠) ص ٣٣٠.

(١١) شعر ابن ميادة / ٣٣.

ويرد في "العيون والحدائق" (١٢) هكذا:

لقد فعلتم بنو مروان فعلا
وقد يكون الصحيح هكذا:

لقد فعلت بنو مروان فعلا
ذميماً ما يسوغ به القراح

ومهما يكون، فقد يكون في هذه الإضافات إلى عمل الدليمي بعض الفائدة لمن يريد قراءة شعر ابن ميادة. وقد يكون للتنبيه إليها معنى الحفز لإعادة جمع شعر الشاعر. والله الموفق.

د. خليل أبو رحمة

جامعة اليرموك